جسور

مجلة فصليّة تُعنى بالترجمة ودراساتها
تصدر عن وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة السورية للكتاب
السنة الأولى ـ العدد /3-4/ صيف وخريف 2009

رئيس مجلس الإدارة
وزير الثقافة
د. رياض نعسان آغا

المدير المسؤول
المدير العام للهيئة العامة السورية للكتاب
محمود عبد الواحد

رئيس التحرير
ثائر ديب

مدير التحرير
خضر الآغا

هيئة التحرير
د. نبيل الحفّار
د. نوفل نيوف
عبود كاسوحة
معين رومية

الإشراف الفني والإخراج
عمران العطار

تُرحب المجلة بإسهامات الكتّاب والمترجمين وترجو أن تردها هذه الإسهامات منضّدة على قرص مرن CD إضافةً إلى النسخة الورقية، على أن ترفق الترجمات بالأصل الأجنبي ولاتعاد المواد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
ـ توجه كافة المراسلات والمواد باسم رئيس التحرير
ـ العنوان: الجمهورية العربية السورية ـ دمشق ـ وزارة الثقافة ـ الهيئة العامة السورية للكتاب ـ مجلة «جسور»

سعر النسخة: 100 ل.س

لوحات الغلاف والداخل هدية من الخطاط عماد محّوك

المحتوى:

مفتتح: خالد بن يزيد رائد الترجمة إلى العربية – د. رياض نعسان آغا، وزير الثقافة 1

رأس جسر: الاختصاصيون وظاهرة موت المجلات – رئيس التحرير 3

I-الملفّ: الترجمة: قضايا وتواريخ

1. تهذيب الترجمة: مقدمة لتأصيل دور "المُراجِع" – د. إياس حسن 7
2. محنة الترجمة في الثقافة العربية: ترجمة النظرية الأدبية نموذجاً – ثائر ديب 23
3. من صعوبات الترجمة: تعريب الأعلام الأجنبية أو رسمها – حسين تقي سنبلّي 41
4. مهنة الترجمة وعيش المترجم – روجر كريس، ترجمة: أحمد رمّو 49
5. الجنوسة في الترجمة: مواقف جنوسية في نظرية الترجمة– شيري سيمون، ترجمة: حسام خضور 71
6. مُتَرْجَمٌ عن – موريس بلانشو، ترجمة: عدنان محمود محمد 101
7. تراث الترجمة في بريطانيا وفرنسا والبرازيل – مجموعة، ترجمة: عدنان حسن 111

II . جسر النفائس

1 . حول الجوانب اللسانية في الترجمة– رومان ياكوبسون، ترجمة د. نوفل نيوف 151
2. الترجمة والتعريب– عبد الله العروي 159
3. لغتنا والترجمة: بحث في العلّة وتسكينها– حسن قبيسي 173

III . جسور الإبداع

1 . شيخ الخطاطين في حلب: محمد عماد محّوك– ماريوس كوشيجوسكي، ترجمة: صخر الحاج حسين 215
2. مارسيل بروست وهنري برغسون– أندريه موروا، ترجمة: سلمان حرفوش 225
3 . الفن والفضاء– مارتن هيدغر، ترجمة: معين رومية 257
4. شمس عبر الأوراق– شعر: شينكيجي تاكاهاشي، ترجمة: عبد الكريم كاصد 263

IV-جسور الألفة

1 . العلاقة بين الترجمة والإمبراطورية في النظريات ما بعد الكولونيالية – خضر الآغا 281
2 . توحيد ترجمة المصطلح في الوطن العربي – هنادي زرقه 297
3 . مرحباً بـ "العربية والترجمة" – هيئة التحرير 311
معبر: الآخر والتحول الثقافي – مدير التحرير 313

تلفاكس: 00963/11/2318162
البريد الإلكتروني: joussmag@syrbook.sy

المواد المنشورة تعبّر عن رأي أصحابها ولاتعبّر بالضرورة عن رأي المجلة

حول الجوانب اللسانية في الترجمة

رومان ياكوبسون
ترجمة د. نوفل نيوف

رومان ياكوبسون

قال برتراند راسل مرَّةً: "لا يمكن أن نفهم ماذا تعني كلمة "الجُبْنَة"[1] ما لم نكن على معرفة غير لغوية بالجبنة" . غير أننا إذا ما اتّبعنا المبدأ الفلسفي الأساس عند راسّل وركّزنا "اهتمامنا على ما للمسائل الفلسفية التقليدية من جوانب لسانية"، فسوف يتعيّن علينا الإقرار بأننا لا نستطيع

1) Bertrand Rassel. "Logical Positivism," Revue Internationale de Philosophie, IV (1950), 18; cf. p. 3.

فهم كلمة "cheese" (الجبنة) ما لم نكن على معرفة لسانية بذلك المعنى الذي يُعطى لهذه الكلمة في القاموس الإنكليزي. إنَّ ابن الثقافة التي لا يعرف مطبخُها مادةَ الجبنة سوف يفهم الكلمة الإنكليزية "cheese" إن كان يعرف أنَّ هذه الكلمة في هذه اللغة تعني "مادّة غذائية مصنوعة من حليب فارط"، وإن كان على معرفة، أقلُّه لسانية، بـ "الحليب الفارط". نحن لم نجرِّب يوماً الأمبروزيا[2]، ولا النكتار[3]، وليس لنا سوى معرفة لسانية بالكلمتين: "أمبروزيا" و"نِكتار"، وكذلك بكلمة "آلهة" التي يُسَمَّى بها مستهلكو هاتين المادتين الأسطوريتين؛ ومع ذلك فإننا نفهم هذه الكلمات، ونعرف في أيّ سياق يمكن أن تستَخدَم.

لا شكَّ في أنَّ معنى كلمات "جبنة"، و"تفاح"، و"نِكتار"، و"معرفة"، و"لكنْ"، و"مجرّد" وأيّة كلمة أو جملة مهما تكن هو معنى لساني تحديداً، أو هو -بتعبير أكثر دقّة وشمولاً- حقيقة سيميائية. والحجّة الأبسط والأصدق ضد مَن ينسبون المعنى (Signatum) ليس للعلامة، بل للشيء ذاته، هي أنّه ما من أحد شمَّ يوماً أو تذوّق معنى "الجبنة" أو "التفاح". فلا وجود للمعنى (Signatum) من دون العلامة (Signum). ويتعذّر استخلاص معنى كلمة "جبنة" من معرفة غير لسانية بالتشيدار (نوع من الجبن الصلب) أو الكَمامْبِرت (نوع من الجبن اللين) دون عونٍ من السنّة اللغوية. ذلك أن إدخال كلمة مجهولة يتطلّب صفّاً من العلامات اللسانية. فمجرَّد الإشارة لن يفضي لنا ما إذا كانت "جبنة" اسم العيّنة المحددة، أم اسم أية علبة كَمامبرت، أم اسم الكمامبرت بوجه عام، أم اسم أي نوع من الجبن، أم اسم أي مادة من مشتقات الحليب، أم اسم أي طعام، أم اسم أيّ مشروب منعش، أم ربما اسم أية علبة بصرف النظر عمّا تحتويه. وأخيراً، هل يقتصر أمر كلمةٍ على تسمية الشيء المعنيّ، أم أنها تشتمل على معنى كالتقديم، أو البيع، أو المنع، أو اللعنة؟ (يمكن لإشارةٍ أن تعني لعنةً في الحقيقة؛ وهي في بعض الثقافات، لا سيَّما في أفريقيا، إيماءة منذرة بالشرّ).

إن معنى أيّة علامة لسانية، بالنسبة لنا، نحن اللسانيين وأبناء اللغة عموماً، هو ترجمتها إلى علامة أخرى، بديلة، وخاصة إلى علامة "تكون فيها أكثر تطوراً"، على غرار ما كان الباحث المرهَف في ماهيّة العلامات بيرس[4] يلحّ في التأكيد. وهكذا، فإنَّ الاسم "عازب" يمكن تحويله إلى تحديدٍ أكثر جلاء، هو "مَن ليس متزوّجاً"، كلما اقتضى الأمر جلاءً أرفع. ونحن نفرّق بين ثلاث طرائق في تأويل علامة لغوية: إذ تمكن ترجمتها إلى علامات أخرى في اللغة ذاتها، أو تمكن ترجمتها إلى علامات أخرى في لغة أخرى، أو تمكن ترجمتها إلى علامات أخرى في منظومة أخرى من الرموز غيرِ لغوية. هذه الأنواع الثلاثة من الترجمة يمكن أن نطلق عليها الأسماء التالية:

١- الترجمة داخل اللغة أو **إعادة الصياغة**، أي تأويل العلامات اللغوية بوساطة علامات أخرى من اللغة ذاتها.

---

2) الأمبروزيا: طعامٌ عَطر، يمنح الخلود، تتناوله الآلهة في أساطير اليونان. – المترجم.

3) النكتار: شراب يكفل الخلود للآلهة عند اليونانيين. – المترجم.

4) Cf. John Dewey. "Peirce's Theory of Linguistic Signs, Thought and Meaning " The Journal of Philosophy, XLIII (1946),91.

٢- الترجمة بين لغتين، أو **الترجمة بالمعنى الدقيق**، أي تأويل العلامات اللغوية عن طريق لغة أخرى.

٣- الترجمة بين المنظومات السيميائية، أو **التحويل**، أي تأويل العلامات اللغوية بوساطة علامات من منظومات غير لغوية.

في حال ترجمة الكلمة داخل اللغة الواحدة يجري استخدام كلمة أخرى مرادفة للكلمة الأولى إلى هذا الحدّ أو ذاك، أو يجري اللجوء إلى المداورة في الكلام. غير أن الترادف، كقاعدة، لا يعني التكافؤ التام، فمثلاً:

Every celibate is a bachelor. but not every bachelor is a celibate.

كلُّ مُتَبَتِّل عازب، ولكن ليس كلُّ عازب مُتَبَتِّل.

إن كلمةً أو عبارة كلامية اصطلاحية، أو باختصار وحدة رفيعة المستوى من وحدات سنّة، قد لا يمكن تأويلها تأويلاً كاملاً إلا عبر تركيب مكافئ مؤلَّف من وحدات السنّة، أي عبر رسالة تحيل إلى هذه الوحدة من وحدات السنّة:

Every bachelor is an unmarried man. and every unmarried man is a bachelor.

كلُّ عازب ليس متزوِّجاً، وكلُّ من ليس متزوِّجاً عازب.

أو:

Every celibate is bound not to marry. and every one who is bound not to marry is a celibate.

كل متبتّل ملزم بألا يتزوَّج، وكل من يلتزم بألا يتزوّج متبتّل.

ويمكن قول الشيء ذاته على مستوى الترجمة من لغة إلى لغة، إذ ليس هناك في العادة تكافؤ تام بين وحدات السنّتين، إلا أنَّ الرسائل يمكن أن تعمل كتأويلات تامة لوحدات سنّة غريبة أو رسائلها. فالكلمة الإنكليزية (cheese) ليست متطابقة تماماً مع مقابلها الروسي الفصيح (cbIP)، لأنَّ الجبنة القريش (cottage cheese) هي جبنة (cheese) لكنها ليست(cbIP). ويقول الروس:

Bring cheese and (sic!) cottage cheese.

أحْضِر جبنة و(كذا!) جبنة قريش.

ففي الروسية الفصحى، لا يُدعى الطعام المصنوع من الحليب الفارط cbIP إلا إذا استُخدمت فيه خميرة.

غير أنَّ ما يحدث في أغلب الأحوال، عند الترجمة من لغة إلى أخرى، ليس إحلال رسائل في لغة معينة محلَّ وحدات منفصلة في سنّة، بل محلّ رسائل كاملة في لغة ما أخرى. وهذه الترجمة هي كلام منقول؛ حيث يعيد المترجم وضع رسالة متلقّاة من مصدر آخر في سنّة وينقلها. وبذلك تشتمل الترجمة على رسالتين متكافئتين في سنّتين مختلفتين.

والتكافؤ في الاختلاف هو المشكلة الرئيسة في اللغة، ومحلّ الاهتمام المحوري في الألسنية. فاللساني، مثلُه مثل أي متلقّ للرسائل اللغوية، يعمل كمؤوِّل لهذه الرسائل. وما من عيّنة ألسنية يمكن أن تؤوَّل بواسطة علم اللغة دون ترجمة علاماتها إلى علامات أخرى في المنظومة ذاتها أو إلى علامات أخرى في منظومة أخرى. وأيّ مقارنة بين لغتين تفترض النظر في قابلية الترجمة المتبادلة فيما بينهما؛ وينبغي لممارسة التواصل واسعة النطاق بين اللغات، ولا سيما نشاطات الترجمة، أن تظل قيد التمحيص من قِبَل العلم الألسني. وإنه ليصعب أن نقلّل من شأن الحاجة الملحة والأهمية النظرية والعملية التي تحظى بها القواميس مزدوجة اللغة التي تعطي تعريفات مقارِنةً مدروسة تغطّي جميع الوحدات المتقابلة من حيث قصدها ومجال استخدامها. وكذلك ينبغي للقواعد المتباينة في اللغتين أن تحدد ما يجمع هاتين اللغتين وما يفرّقهما في اختيار المفاهيم القواعدية ورسم حدودها.

ينطوي كلٌّ من ممارسةُ الترجمة ونظريتُها على فائض من المشكلات العويصة، وتجري بين حين وحين محاولاتٌ لقطع العقدة الغوردية[5] بالإعلان عن الإيمان بتعذُّر الترجمة. و"السيد إيڤريمان، المنطقيَّ الطبيعي"، الذي تخيّله ب. ل. وورف ذلك التخيّل المفعم بالحيوية، كان من المفترَض به أن يصل إلى الاستنتاج التالي: "تختلف الحقائق بالنسبة للمتكلمين الذين توفّر لهم خلفيتهم اللغوية صياغةً مختلفة لهذه الحقائق"[6]. ففي روسيا، خلال السنوات الأولى بعد الثورة، تقدّم بعض أصحاب الرؤى المتزمتين باقتراحات في الدوريات السوفيتية تدعو إلى مراجعة اللغة التقليدية مراجعة جذرية، خاصةً استئصال تلك التعابير المضلِّلة من قبيل "شروق الشمس"، و"غروب الشمس". غير أننا ما نزال إلى اليوم نستخدم هذه المخلّفات التي ورثناها عن نظرة بطليموس إلى العالم، من غير أن ننفي في الوقت نفسه تعاليم كوبرنيكوس، ونقدر بسهولة أن ننتقل من الأحاديث العادية عن شروق الشمس وغروبها إلى الفكرة القائلة بدوران الأرض، وما ذلك إلا لأنَّ أية علامة تقبل الترجمة إلى علامة أخرى تظهر فيها أشدّ تطوراً وأكثر دقة.

تنطوي ملكة الكلام بلغة ما على ملكة الكلام على تلك اللغة. وهذه العملية الميتالغوية تتيح لنا أن نعيد النظر بمفردات اللغة التي نستخدمها، وأن نعيد تحديدها من جديد. وكان نيلز بور أوّل من لفت النظر إلى أن تكامل المستويين، مستوى اللغة–الموضوع ومستوى الميتالغة: حيث ينبغي التعبير عن

---

5) **كناية عن المشكلة العويصة التي لا يمكن حلها إلا بالبتر. إذ تقول الأسطورة إن غوردي، ملك فريجيه، صنع عقدة لعربة خيل يجرها حصانان، وقال إن من يحلُّ هذه العقدة يصبح ملكاً على آسيا. وجاء الاسكندر المقدوني فلم ينشغل بحلها، بل قطعها بضربة من سيفه – المترجم.**

6) Benjamin Lee Whorf. Language. Thought. and Reality (Cambridge. Mass.. 1965).p.235.

جميع الأدلّة التجريبية المُعَرَّفَة جيداً بوساطة اللغة العادية، "التي يكون للاستخدام العملي لكل كلمة من كلماتها علاقة تكاملية مع محاولات إعطاء تلك الكلمة تعريفاً دقيقاً"[7].

تستطيع أيّة لغة موجودة أن تعبِّر عن أيّة تجربة معرفية وعن تصنيفها. وأنّى وُجِدَ قُصور، يمكن تعديل المصطلحات وتوسيعها بكلمات مُقْتَرَضَة أو ترجمات مُقْتَرَضَة، بكلمات مُوَلَّدَة أو انزياحات دلالية، وأخيراً، بضروب من المداورة في الكلام. وهكذا نجد أنَّ اللغة الأدبية التي تشكّلت مؤخراً عند شعب التشوكتشا[8] الذي يعيش في شمال شرق سيبيريا تعبّر عن "البرغي" بالـ "المسمار الدوّار"، وعن "الفولاذ" بـ "الحديد القاسي"، وعن الصفيح بـ "الحديد الرقيق"، وعن "الطباشير" بـ "صابون الكتابة"، وعن "الساعة" بـ "القلب الدقّاق". بل إنَّ مداورات كلامية تبدو متناقضة في الظاهر، مثل "عربة الأحصنة الكهربائية"، وهو أول اسم أطلقه الروس على عربة الشارع التي لا تجرّها الأحصنة)، أو "السفينة الطائرة"، أو (**جينا باراغوت**)، الاسم الذي أطلقه شعب الكورياك في الشرق الأقصى الروسي على الطائرة، تشير إلى الشبيه الكهربائي للعربة التي تجرّها الأحصنة وإلى الشبيه الطائر للسفينة ولا تحول دون التواصل، شأنها شأن اجتماع الخُلَف المضاعف "كلبٌ بارد ساخن من لحم البقر والخنزير" الذي لا يشتمل على أيّ "ضجيج" واضطراب دلاليين.

إن غياب الأداة القواعدية في اللغة المُتَرْجَم إليها لا يعني أنَّ ترجمة التشكيل المفهومي الكامل الذي ينطوي عليه الأصل ترجمة حرفية هي أمر مستحيل. فحرفيّ العطف التقليديين "و" و"أو" أُلْحِقَ بهما الآن حرف عطف جديد –هو "و/أو" – الذي كان استعماله موضع نقاش قبل بضع سنوات في الكتاب الطريف **النثر الفيدرالي: كيف تكتب في و/أو من أجل واشنطن**[9]. ومن بين أحرف العطف الثلاثة هذه، لا نجد سوى الأخير في إحدى اللغات السمودية[10]. وعلى الرغم من هذه الاختلافات في قائمة أحرف العطف، فإن أنواع الرسائل الثلاثة (الملحوظة في "النثر الفيدرالي") يمكن ترجمتها على نحوٍ مميّز سواء إلى الإنجليزية التقليدية أم إلى هذه اللغة السمودية. ففي النثر الفيدرالي، لدينا: سوف يأتي ١) جون وبيتر، ٢) جون أو بيتر، ٣) جون و/أو بيتر. ولدينا في الإنجليزية التقليدية: سوف يأتي ٣) جون وبيتر أو واحدٌ منهما. ولدينا في السمودية: سوف يأتي ١) جون و/أو بيتر كلاهما، ٢) جون و/أو بيتر، واحدٌ منهما.

إذا كانت مقولة قواعدية ما غير موجودة في إحدى اللغات فإنه يمكن ترجمة معناها إلى هذه اللغة عن طريق المفردات. فصيغة المثنى، ككلمة "أَخَوان" مثلاً، في اللغة الروسية القديمة، تترجم بواسطة العدد: "اثنان من الأخوة". على أنّ الأمانة للأصل تكون أصعب عندما نترجم إلى لغة فيها مقولة قواعدية غير موجودة في لغة الأصل. فعندما نترجم الجملة الإنكليزية "She has brothers" (لها أخوة) إلى لغة تختلف فيها صيغتا المثنى والجمع، نكون مجبرين على أن نختار بقرار

---

7) Niels Bohr." On the Notions of Causality and Complementarity." Dialectica. 1(1948) . 317 f.

8) **أحد الشعوب المتخلفة في سيبيريا الروسية، لم يكن له أبجدية قبل الثورة الشيوعية. – م.**

9) James R. Masterson and Wendell Brooks Philips. Federal Prose. (Chappel Hill. N.C.. 1948). p.40 f.

10) **لغات منطقة الأورال الميتة. – م.**

منّا بين قولين: "لها أخَوان" و"لها أكثر من أخَوَين"، أو أن نترك القرار للمستمع، فنقول: "لها إما أخَوان أو أكثر". وكذلك عندما نترجم من لغة ليس فيها قواعد العدد إلى اللغة الإنكليزية يتعين علينا بالضرورة أن نختار إحدى الصيغتين المكنتين: brother (أخ)، أو brothers (أخوة)، أو أن نضع متلقي الخبر في حالة اختيار: "She has either one or more than one brother" (لها إما أخ واحد أو أكثر من أخ واحد).

وَفْقاً لملاحظة بواس الدقيقة فإن النسق النحوي للغة ما (خلافاً لمخزونها المعجمي) يحدِّد ما في كلِّ تجربة من أوجه ينبغي أن يُعَبَّرَ عنها في اللغة المعيّنة: "حيث ينبغي أن نختار بين هذه الأوجه، وأن نختار هذا الوجه أو ذاك"[11]. فلكي نترجم الجملة الإنكليزية "I hired a worker" (استأجرتُ عاملاً) ترجمة سديدة إلى اللغة الروسية، لابدَّ لنا من معلومات إضافية، تبيّن إن كان الفعل قد اكتمل أم لم يكتمل، وهل العامل رجل أم امرأة، وذلك لأنه لابد للمترجم من أن يختار بين الفعلين التام والناقص ("استأجرتُ" أو "كنتُ أستأجر")، وكذلك بين الاسم المذكر والاسم المؤنث ("عامل" أو "عاملة"). وإذا ما سألنا الإنكليزي الذي نَطَقَ هذه الجملة، ما هو جنس العامل المستأجِر، فلعلّه يحكم على سؤالنا هذا بأنّه غير ذي أهمية، أو حتّى غير حصيف، أمّا في الصيغة الروسية لتلك الجملة فالجواب عن هذا السؤال إلزاميّ. ومن جهة أخرى، فأياً كانت الأشكال القواعدية الروسية التي نختارها ونحن نترجم الرسالة الإنجليزية الآنفة، لن تعطينا الترجمة الروسية لهذه الجملة جواباً عمّا إذا كنتُ "استأجرتُ" أم "كنتُ أستأجر" هذا العامل، (الزمن التام والبسيط)، وعمّا إذا كان هذا العامل (أو العاملة) محدَّداً أو مجهولاً (معرفة أم نكرة). ولمّا كانت الأنساق القواعدية الإنكليزية والروسية تتطلب معلومات متباينة، فإننا أمام مجموعات مختلفة تماماً من حالات الوقوف أمام خيارين؛ ولذلك فإن سلسلةً من ترجمات الجملة المعزولة الواحدة ذاتها من اللغة الإنكليزية إلى الروسية وبالعكس يمكن أن تُفْقِد مثل هذه الرسالة محتواها البدئي. وقد اعتاد اللغوي السويسري س. كارتسيفسكي أن يقارن هذه الخسارة التدريجية بسلسلة دائرية من عمليات تحويل عملة ما بسعر غير مناسب. ولكن من الواضح أنه كلما كان سياق رسالةٍ ذلك السياق الغني كانت خسارة المعلومات أقلّ.

تختلف اللغات فيما بينها اختلافاً أساسياً في ما **ينبغي** أن تنقله وليس فيما **يمكن** أن تنقله. فكلُّ فعل في لغة معينة لابد أن يطرح مجموعة من الأسئلة التي تتطلب جواباً بنعم-أو-لا، من قبيل: هل يجري تصوُّر الحدث المرويّ مع إشارة إلى اكتماله أم لا؟ هل يُقَدَّم الحدث المرويّ على أنّه سابق للحدث الكلاميّ أم لا؟ فمن الطبيعي أن يتركّز اهتمام الناطقين والمستمعين المحليين دائماً على هذه الأمور بوصفها إجبارية في سنّتهم اللغوية.

واللغة، في وظيفتها المعرفية، لا تخضع للنسق القواعدي إلا في الحدّ الأدنى، وذلك لأن تحديد تجربتنا أو تعريفها يرتبط بعلاقة تكامل بالعمليات الميتالغوية: فمستوى اللغة المعرفي لا يسمح بالتأويل المتأخّر وحسب، بل ويقتضي مباشرةً هذا التأويل المتأخّر، أي الترجمة. وأيّ افتراض بأن المعطيات المعرفية تفوق التعبير أو تفوق الترجمة هو افتراض ينطوي على تناقض. أما في النكات،

11) Franz Boas. Language. "General Anthropology". (Boston, 1938), p. 132 f.

والأحلام، والسحر، وباختصار في ما نسميه ميثولوجيا لغوية يومية وفي الشعر قبل كلّ شيء، فيكون للمقولات القواعدية قيمةٌ دلالية هامّة. ففي هذه الحالات تصبح مشكلة الترجمة أكثر تعقيداً ومحلاًّ للخلاف.

وحتى مقولة كمقولة الجنس القواعدي (صيغة التأنيث والتذكير، في الصرف)، التي كثيراً ما يُستشهَد بها على أنها مجرّد مقولة شكلية، تلعب دوراً كبيراً في المواقف الميثولوجية لدى الجماعة الناطقة. ففي اللغة الروسية لا يمكن أن ننسب ما هو أنثويّ إلى شخص ذكر، ولا أن نخصّ بالذكريّ امرأةً. وتتحدّد طرائق شخصنة أسماء الجماد وتأويلها المجازي بجنسها. وقد بينت التجربة التي أجريت في معهد موسكو السيكولوجي (١٩١٥) أن أبناء اللغة الروسية، في ميلهم إلى شخصنة أيام الأسبوع، يعدُّون الاثنين والثلاثاء والخميس كلمات مذكّرة. أما الأربعاء والجمعة والسبت فأسماء مؤنثة، من غير أن يدركوا أن هذا التوزيع ينجم عن الجنس المذكر الخاص بالمفردات الروسية التي تعبرّ عن الأيام الثلاثة الأولى (التي ينتهي كلٌّ منها بحرف صامت) بخلاف الجنس المؤنث الخاص بالثلاثة الأخيرة (التي ينتهي كلٌّ منها بألِف. – م). وحقيقة كون الكلمة الدالّة على (الجمعة) مذكرة في بعض اللغات السلافية ومؤنثة في بعضها الآخر إنّما تنعكس في التقاليد الفولكلورية لدى تلك الشعوب، التي تختلف فيما تمارسه من طقوس يوم الجمعة. وما يحدد الخرافة الروسية المعروفة التي تقول إن سقوط السكين على الأرض نذيرٌ بقدوم ضيف رجل، أما سقوط الشوكة فنذيرٌ بقدوم ضيف امرأة، هو أنَّ كلمة (سكين) مذكّرة، وكلمة (شوكة) مؤنّثة. وفي اللغات السلافية وغيرها من اللغات التي تكون فيها كلمة (نهار) مذكّرة، وكلمة (ليل) مؤنّثة، يخلع الشعراء على (النهار) صفة معشوق الليل. وقد استغرب الرسام الروسي ريبِّن أن يصوِّر الفنانون الألمان "الإثم" في هيئة امرأة، ذلك أنه لم يدرك أن كلمة "إثم" (die Sende) في اللغة الألمانية مؤنّثة، بينما هي في الروسية مذكّرة. وبالقدْر نفسه كان الطفل الروسي يستغرب، وهو يقرأ الحكايات الألمانية مترجمة، أن الموت، وهو امرأة جليّة (فكلمة "الموت" مؤنّثة في اللغة الروسية)، يتخذ هيئة رجل عجوز (والكلمة نفسها بالألمانية Der Tod مذكّرة). ثم إن عنوان مجموعة بوريس باسترناك الشعرية **أختي الحياة** شيء طبيعي تماماً في اللغة الروسية التي تؤنّث كلمة "الحياة"، ولكن هذا العنوان أوقع الشاعر التشيكي يوسف خورا في اليأس عندما حاول أن يترجم تلك الأشعار، لأن كلمة "الحياة" (život) في اللغة التشيكية مذكّرة.

ما السؤال البدئي الذي برز في الأدب السلافي عند نشوئه؟ الشيء اللافت هو أنَّ الصعوبة التي يلاقيها المترجم في الحفاظ على رمزية الجنسين (المذكّر والمؤنّث)، مع ما لهذه المشكلة من قلّة شأن معرفية، كانت على ما يبدو الموضوع الأساسي في أبكر عملٍ سلافي أصيل، هو التقديم لأول ترجمة للإنجيل، وقد أُنجِزت على يد مؤسس الأدب السلافي ومنظومة الطقوس الكنسية قسطنطين الفيلسوف عام ٨٦٠ م. وقد تمّ تحقيق هذا النص والتعليق عليه قبل مدة قصيرة على يد أ. فايان[12]. يقول هذا الداعية السلافي، قسطنطين الفيلسوف: "إن اللغة اليونانية، لدى ترجمتها إلى لغة أخرى،

12) André Vaillant "La Préface de L'Évangeliaire vieux-slave." Revue des Études Slaves. XXIV (1948). 5 f.

لا يمكن إعادة إنتاجها على نحوٍ مطابق، وهذا ما يحدث لكلِّ لغة تُتَرْجَم. فالأسماء اليونانية المذكّرة، من قبيل (نهر)، و(نجم)، يمكن أن تكون في لغة أخرى أسماء مؤنّثة، كما هو حال هاتين الكلمتين في اللغة السلافية". ووَفقاً لتعليق فايّان، فإنَّ هذا الاختلاف يمحو التطابق الرمزي بين الأنهار والشياطين، وبين النجوم والملائكة في الترجمة السلافية لآيتين من **إنجيل متّى** هما الآيتان (٧:٢٥ و ٢:٩). إلا أن القدّيس قسطنطين يردُّ بحزم، بصدد هذا العائق الشعري، على نصيحة ديونيسيوس الأريوباغي، الذي دعا إلى تركيز الاهتمام الرئيس على القيم المعرفية (على قوّة العقل)، وليس على الكلمات بحدِّ ذاتها.

ففي الشعر، تغدو المعادلات اللفظية مبدأً بانياً للنصّ. فالمقولات النحوية، والصرفية، والجذور، واللواحق، والفونيمات ومكوّناتها (السمات المميزة)، أي – باختصار- جميع عناصر السنّة اللفظية- توضع موضِع التواجه، والتراصف، والعلاقة التجاورية وفقاً لمبدأ التشابه والتضاد، وتحمل دلالتها المستقلة الخاصة. فالتشابه الفونيمي يُحَسُّ كتعالق دلالي. والتورية، أو الجِناس إذا ما استخدمنا مصطلحاً أشدّ تبحّراً، وربما أكثر دقة، تبسط سلطتها على فنّ الشعر، وسواء كانت هذه السلطة مطلقة أم محدودة، يبقى الشعر بالتعريف غير قابل للترجمة. وما يظلُّ ممكناً هو المناقلة الإبداعية وحدها: إمّا داخل اللغة؛ من شكل شعري إلى شكل شعري آخر، أو بين لغتين؛ من لغة إلى لغة أخرى، أو أخيراً بين المنظومات الدلالية؛ من منظومة علامات إلى منظومة علامات أخرى، وذلك، مثلاً، من الفن اللفظي إلى الموسيقى، أو الرقص، أو السينما، أو الرسم.

لو ترجمنا القول الإيطالي التقليدي المأثور: (traduttore traditore) بـ "المترجم خائن"، نكون قد جرَّدنا القول الإيطالي المسجوع من كل قيمته الجِناسيّة. ولذلك فإن مقاربة هذه الجملة مقاربةً معرفيّة سوف ترغمنا على تحويل هذا القول المأثور إلى قولٍ أوضح والإجابة عن سؤالين: "مترجمُ أيّةِ رسائل؟"، و "خائنُ أيِّ قيم؟".